جماليات المُقدس في فن العصور الوسطي كمدخل لإثراء التذوق الفني.

مقالة بحثية

* رحاب عادل عبدا لله عبد الجليل.
*مرشح للدكتوراه في قسم النقد والتذوق الفنى، كلية التربية الفنية – جامعة حلوان
الإليكتروني البريد: d.rehabadel11@gmail.com

تاريخ المقال:

- **تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة:** 17 نوفمبر 2020
- **تاريخ تسليم النسخة المعدلة بعد التحكيم:** 13يناير 2021
- **تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر:** 17يناير 2021

الملخص:

تناول البحث الحالى جماليات المقُدس وذلك فى العقائد والفن الدينى فى العصور الوسطى، وكيف اعتمد الفن فى العصور الوسطى بشكل خاص فى أعماله على الأحداث الدينية والقصص المأخوذة من الكتاب المقدس. ايضا استطاعت الكنيسة احتواء الفن والسيطرة علي الفنانين ، وبدأ الفن يتخلى عن المسحة الدنيوية وعاد ليرتبط بالحياة الأخرى والفضائل الدينية والصور المقدسة والمواقف المسيحية, كيف أعطا فنانو العصور الوسطي للفلسفة الدينية أولوية في التفكير، وبرزت من خلالها أعمال فنية في مجال النحت والتصوير، والتي تقوم علي تمثيل وتقديس الشخصيات الدينية، حيث أصبحت القيم الدينية معياراً لتقدير الأعمال الفنية. وقد انعكس ذلك من خلال الفن(الرومانسكي ، القوطي) التي اشتملت عليها فنون العصور الوسطي.

الكلمات المفتاحية: مفهوم المُقدس, فن العصور الوسطى, التذوق الفنى

مقدمة:

كان دور الفنان في العصور الوسطى في تصوير الأعمال الأسطورية والدينية عن العالم الآخر, فقد تناول فنانين كثير من فنانين إيطاليا و أوربا بصفة عامة موضوعات مقدسة ، وخاصة صلب " المسيح " وإنزاله من علي الصليب ومواضيع العالم الآخر ، ولكن تناول الفنان للموضوع اختلف فلم يُصبح دوره قائماً علي النقل السطحي للموضوع ، بل كان التناول قائم علي الفكر والمضمون والذي يتماشى مع روح العصر السائدة , ومع الفكر الضمني للكوميديا الإلهيه , ليحقق الفنان بذلك التكامل بين العمل الأدبي " الكوميديا " والعمل التشكيلي للوصول بالهدف والمضمون إلي فكر الملتقي. وهناك العديد من الأعمال التصويرية التي تناولت مواضيع العالم الآخر كـ « رثاء المسيح » للفنان " جيوتو Giotto " (1308م) بكنيسة - إرينا بباد وفا ،(شكل -4) ،كما رسم الفنان دوتشو -العذراء والطفل -1300-متحف المتروبوليتان بنيويورك (شكل-5) ، أيضا لوحة « الدينونة الأخيرة » للفنان " فرانجليكو " (1449م) , كنيسة - سان ماركو , فلورنسا.

مشكلة البحث:

مما سبق تتلخص مشكلة البحث في السؤال التالي:

1. هل يمكن إيجاد مدخل للتذوق الفني من خلال إستخلاص القيم الجمالية والدينية لمفهوم المُقدس في فنون العصور الوسطى؟

فرض البحث:

من خلال التساؤل السابق فإن الباحثة تفترض الآتي:

يمكن إيجاد مدخل للتذوق الفني من خلال إستخلاص القيم الجمالية والدينية لمفهوم المُقدس في فنون العصور الوسطى من خلال أداء الفنان وسيطرة رجال الدين داخل العمل.

اهمية البحث :

يسعي البحث إلى تزويد الدراسات الجمالية بقراءة نقدية حول مفهوم المُقدس في فنون العصور الوسطى. فى ضوء المتغيرات المستجدة فى الفكر الجمالى.

اهداف البحث :

يهدف البحث إلي:

الوصول إلى ماهية مفهوم المُقدس جمالياً ودينياً في فنون العصور الوسطى .

منهجية البحث :

يتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي

حدود البحث :

تستعرض الدراسة عددًا من أعمال فناني العصور الوسطى والتى يُشترط فيها أن تشتمل على الأعمال الدينية المُقدسة داخل الكنائس الأوروبية كعنصر مهم لإتمام التجربة الجمالية.

مصطلحات البحث :

- **الجمال (Aesthetic)**

الجمال (لغةً):عند ابن منظور، جاء ذكر (الجمال) بانه : مصدر (جميل) والفعل: جمل (جميل صليباً المعجم الفلسفي -ص408)

الجمال اصطلاحاً :

يكون الجمال عند صليبا مرادفاً للحسن وهو تناسب الأعضاء وتوازن في الأشكال وانسجام في الحركات, والجميل هو الكائن على وجه يميل إليه الطبع وتقبله النفس.(راضى حكيم:ص94)

وترى لانجر أن الجمال يبتدئ في العمل الفني من خلال إمكاناته التعبيرية، وأن العمل الفني، كلما كان معبراً، كلما كان جميلاً.(بنتون وليم:ص5)

عرف الكثير من الفلاسفة الجمال ولكن من وجهات متعددة وأيضاً نظريات جمالية عديدة, حيث ورد في دائرة المعارف البريطانية بأنها: الدراسة النظرية لأنماط الفنون وهي تعنى بفهم الجمال وتقصي آثاره في الفن والطبيعة وما تمثله من أهمية في الحياة الإنسانية.(محسن محمد عطية:ص15) كما وجد جورج سانتيانا تعريفا للجمال على انه قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء، فالجمال إحساس بوجود شيء حسن أو انعدام شيء حسن (في حالة القبح)، حيث يمكن تعريف الجمال بلغة أقل تخصصا على أنه لذة نعتبرها صفة الشيء ذاته(جورج سانتيانا:ص92)

• **المقدس (Sacred):**

في موسوعة لالاند الفلسفية يعتبر المقدس هو كل ما يتعين عليه أن يكون موضوع احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين.(موسوعة لالاند الفلسفية:2001) .

فالكائنات أو الأشياء المقدسة هي تلك التي تدافع عن المحرمات وتحميها، بينما تكون الكائنات أو الأشياء المدنسة هي الخاضعة لتلك المحرمات والتي لا يجوز لها الاتصال بالأولى إلا بموجب عبادات وشعائر محددة.

وفي القاموس الانثروبولوجي المقدس:

هو صلة يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجبة الاحترام، فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة، أو المعبودات والقوى فوق الطبيعية، أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع، ولهذا فهي مصونة من العبث أو التخريب.(شاكر مصطفى:1981م).

وقد تصدّر مفهوم المقدّس جهود عدد كبير من الباحثين في مختلف الحقول المعرفية، ولاسيما في مجالي الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. يقوم هذا المفهوم كثيرا في الكشف عن جوانب هامة في الحياة الإنسانية، ولاسيما هذه التي تتعلق بنشأة الأديان والطقوس والأساطير والثقافات. وانطلاقا من أهمية هذا المفهوم تقاطرت البحوث والدراسات، وشُغل الباحثون بدراسة وتقصي أبعاد هذا المفهوم وتجلياته بحثا عن ماهية الحياة الثقافية وتكويناتها في المجتمعات الإنسانية.(محسن عطية:ص87).

إن العلاقة بين الجمال، والمقدس هي نتيجة تقييم نوعي للأشياء والظواهر، تقييماً لقدرتها على تلبية الحاجات النفعية، والجمالية والقدسية الدينية، لقد كانت الرهبة والتعبد، على الأرجح، مصاحبة للتقييم الديني، في حين كان الإعجاب تعبيراً عن العلاقة الجمالية.(عبداللطيف الهرماسى:ص147).

• **التذوق الفني:-**

التذوق الفني هو عملية اتصال تتم بين طرفين أولهما المرسل وهو الفنان ممثلاً في أعماله ، وثانيهما المُستقبل (المتذوق) أو المستمتع بتلك الأعمال التشكيلية والمتفاعل معها برؤية تأملية ، وبين الفنان والمُتلقي قناة تواصل ورسالة مُحملة على هذه القناة ، مما يعني قدرة المتلقي على الإحساس بما يتعامل معه من مُدركات بصرية ، وإمكانية الكشف عن ما تتضمنه تلك الأعمال من قيم فنية وجمالية ، وما تعكسه من قيم تعبيرية وأيضاً ما تحمله من مضامين فكرية في شتى جوانب الحياة . فالعمل الفني عبارة عن رموز أو علامات تدل على اتصال الأفكار والقيم .

بأن التذوق الفني هو " نوع من التعاطف والاستجابات الوجدانية ، وبأن التذوق عملية تُعبر عن علاقة تعاطف بين الفرد وبين الشيء الذي يستحوذ على مشاعره بما يحمله من سمات جمالية تجعل الإنسان يُحس بالمتعة والارتياح مما يعني أن إعجاب المتذوق بجمال الفن ينتج عن التأثر الوجداني"(محمود البسيوني:1989م.).

ويستند البعض في تعريفهم لمفهوم التذوق الفني على أنه (عملية إدراكية) وأن التذوق الفني هو عملية إدراكية جمالية يتم فيها نفاذ العين إلى عمق الموضوع للوصول إلى الكيفية الوجدانية للموضوع ، وقد يُعبر عن التذوق الفني بأنه الحساسية للأعمال الفنية ، وذلك من خلال النظرة الفاحصة والتأمل ، وطرح عدد من الأسئلة للتعرف على بعض الممارسات الفنية التاريخية ، حيث تزداد حساسية العقل من النواحي الإدراكية ، والعاطفية ، والمفاهيمية .

فالتذوق الفني يرتبط بالإدراك البصري حيث يعمل على كشف ما في الأعمال الفنية من قيم ومعان سامية ، وفهم العناصر والرموز والسلوك المرئي باستجابة فعالة .

• العصور الوسطى The Middle Ages :

العُصُورُ الوسطى أو القُرُونُ الوسطى هي التسمية التي تُطلق على الفترة الزمنية في التاريخ الأوروبي التي امتّدت من القرن الخامس حتّى القرن الخامس عشر الميلادي. حيث بدأت بانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية واستمرّت حتى عصر النهضة والاستكشاف. " شملت الفنون بمعناها الواسع كل ما تمخضت عنه العبقرية البشرية من انتاج فكرى ويدوي، فالجراحة فن، والشعر فن والموسيقى فن،

من الممكن أن يتحدد أفق هذا الاصطلاح ليقتصر على ما يتفتق عنه العقل البشرى من انتاج راق يجمع بين قوة الابتكار وجمال

الذوق من ناحية، والمهارة اليدوية من ناحية أخرى. وفي هذه الحالة تضيق دائرة الفنون لتقتصر على العمارة والتصوير والنحت – وهي المجموعة التي يطلق عليها اسم الفنون الكبرى؛ ثم المصنوعات اليدوية الصغيرة التي تتطلب دقة فائقة وعبقرية راقية وخيالاً واسعاً- وهي التي يطلق عليها اسم الفنون الصغرى".

ويمكن ملاحظه أن فنون أوربا فى العصور الوسطى أنها كانت تعبيرا روحيا، بحيث جاءت هذه الفنون مرآة صادقة انعكست فيها الحماسة للدين وتعاليم الكنيسة. لذلك لا نكون مبالغين إذا قلنا أن كل ما اشتمل عليه الفن الأوربي في العصور الوسطى من رمزية وجمال ومثالية، إنما استهدف غاية واحدة هي إرضاء الشعور الديني. وهكذا جاء هذا الفن آية صادقة عبرت تعبيرا أمينا عن أثر العقيدة المسيحية وعصور الايمان، وهي العصور التي إمتازت بسمو الوازع الدينى والباعث الروحى على غيرها من قيم الحياة .

وقد أعتمد الفن في العصور الوسطي" في أعماله علي الأحداث الدينية والقصص المأخوذة من الكتاب المقدس، و التعبير عنها بصورة واقعية توضح الملابس التي يرتديها العامة في هذه العصور، كما تظهر في الصور وجوه أشبه بتلك الوجوه التي يقابلها الناس في حياتهم اليومية.

حيث أن الفن كان يُجسد شيئاً واقعياً قريباً من الحياة وذلك لكي يستوعب المُشاهد الأحداث بصورة ملموسة تُغنيه عن القراءة، كانت معظم البلاد الأوروبية في الفترة مابين عامي(1000م-1400م) واقعه تحت سيطرة السلطة الدينية للكنيسة المسيحية, وظهرت هذه السيطرة في المنشآت الدينية « الكاتدرائيات والكنائس » والتي تنافست البلاد علي إقامتها وعُرف هذا الطراز المسيحي بطراز العصور المظلمة أو الوسطي ".(سماح حسين:ص69).

موضوع البحث :

فقد "استطاعت الكنيسة احتواء الفن والسيطرة علي الفنانين ، وبدأ الفن يتخلى عن المسحة الدنيوية وعاد ليرتبط بالحياة الأخرى والفضائل الدينية والصور المقدسة والمواقف المسيحية، وكان الفن الذي ساد في الغرب من القرن الرابع حتى القرن العشرين هو الفن المسيحي، الذي نشأ نتيجة لمتطلبات عقائد الدين المسيحي، ولقد تطور هذا الفن عبر القرون وطرأت عليه تغيرات محلية ارتبطت دائماً بالعقيدة المسيحية "(نعمت إسماعيل:ص18).

لذا أعطا فنانو العصور الوسطي للفلسفة الدينية أولوية في التفكير، وبرزت من خلالها أعمال فنية في مجال النحت والتصوير، والتي تقوم علي تمثيل وتقديس الشخصيات الدينية، حيث أصبحت القيم الدينية معياراً لتقدير الأعمال الفنية. وقد انعكس ذلك من خلال الفن(الرومانسكي ، القوطي) التي اشتملت عليها فنون العصور الوسطي. ومن الملاحظ في الأعمال الدينية أن تمثيل الحركة والإيماءات للجسم بسيطة والحركة قليلة، وذلك للحفاظ علي قدسية الموضوع , "

كما كان لها مدلولاً رمزياً مما أدي إلي تميزها بعدة سمات منها - استطالة الجسم ، المبالغة في اتجاهات حركاته الضيقة مع استخدام الخطوط المعقدة - وكانت كل هذه السمات في الأساليب الفنية هى التي تتفق مع المتطلبات الدينية، حيث كان الاعتقاد بفناء الجسد وبقاء الروح ، كما أن الشائع الشخصيات الدينية تمثيل الآلام ، فقد اتفق العلماء علي أن هذه العصور لم تخلو من ومضات النور، وأن المظاهر الحضارية التي تميزت بها النهضة كان لها مقدمات متفرقة في العصور الوسطي ".(سماح حسين:مرجع سابق ص76)

وبينما كان الميدان الرئيسي للفن (الرومانسكي) هو فن عمارة الكنائس، كانت الفنون الأخرى تخدم أيضاً الأغراض المسيحية، فقد أرتبط فن النحت في العصور الوسطي بالموضوعات الدينية الأكثر شيوعاً، حيث تناول الفنانون موضوعات البعث والحساب, بالإضافة إلي العديد من الشخصيات المقدسة، التي تم توظيفها لزخرفة وجهات الكنائس والكاتدرائيات الرومانسكية, فقد كان علي الفنان اختيار القصص الدينية المتمثلة في العنصر الآدمي "حيث يتوسط المسيح " ويعتبر الشخصية الأساسية والرئيسية ، ويتوسط الحوار ويلتقون حوله, أما القديسين فقد تم تمثيلهم بأقل من مستوي المجموعة الأساسية.

حيث قام الفنان بمحاكاة الشخصيات المقدسة من خلال أهميتها ودورها في القصص الديني ، محاولاً إبرازها من خلال التحكم في الحجم واللون, أووضعها كمحور أساسي في العمل الفني ولكن باستكمال العمل بالشخصيات الثانوية , كما قام الفنان بنقل انفعالات الأشخاص ، أيضاً أكد أوضاع الأجسام ذات الاتجاهات

المختلفة وكذلك المبالغه في النسب لتوضيح الانفعالات ، فيقول " محسن عطيه " أن " الأداء المتميز لفن النحت (الرومانسكي) والذي اهتم الفنان فيه أكثر ما يهتم بتحقيق غاية تطويع الخيال لتصوير موضوعاته دون الاستعانة بمادة الحياة الحقيقية "(محسن عطيه :جذور الفن:ص 135) كما أكد علي أن كائنات العالم الإلهي بالنسبة للعقيدة القديمة تُدرك بالرمز الذي يحول عناصر ذلك العالم إلي مظهر ملموس يدرك بالحواس , لذا فقد استخدمت التصورات الأسطورية في العقيدة المسيحية التي ظهرت علي هيئة رمزية.

وقد قام مصوري العصور الوسطي بمحاكاة الموضوعات الدينية ، والتي عبروا عنها من خلال المخطوطات الدينية المسيحية التي اقتصرت علي القصص الديني , وبالنسبة لفن رسم الصورة فلم يكن في وسع الفنانين أداؤه لعدم سماح الكنائس برسم صور تعبر عن (ملاذ الدنيا) فاكتفت الكنائس برسم صور من الفسيفساء التي تتناسب مع فلسفة العصور الوسطي الدينية .

فيرى " محسن عطيه " بأن " ارتباط العصور الوسطي بمعاني الحماسة الروحية وعدم الاكتراث بحياة الطبيعة , أو اكتساب المعرفة الطبيعية , فلم يكن الإنسان الغربي في العصور الوسطي يحرص علي الرخاء المادي أو السيطرة علي الأرض أو التوصل إلي المعرفة الدقيقة عن الطبيعة الحقيقية, وإنما كل حرصه ينصب علي النجاة من النقمة الإلهية ".(محسن عطية:القيم الجمالية في الفنون التشكيلية :ص 217). فمن الصعب تحديد القيم الإيجابية التي تصبح هي العليا وخاصة في المجتمعات الغربية التي تحكمها سلطة لاهوتية والتي بذلت مجهود من أجل التحكم في الأنشطة وفقاً لمقتضيات القيم الروحية وتمجيد الإله.

ويذكر " ثروت عكاشة " عند ظهور الفن الرومانسكي ، " كان للغرب أخيراً فن مركب من عناصر متعددة له دوره الوظيفي والعضوي , وكانت الثمة الأساسية التي نشأ فيها عن هذا الاتجاه فن جديد يُبيح بإطراح التقاليد الرومانية والبيزنطية السابقة ، فكان فهم الإنسان في العصر الرومانسكي للكون الذي يحيط به مستسقي مما جاء في النصوص المقدسة ، ولم يُعن الفنان نفسه بالغوص في أعماق الكون , حتى إذا ما كان للفلاسفة أن يعللوا وأخذوا يربطون بين النصوص المقدسة وبين ما يجيزه العقل مما ورد فيها"(ثروت عكاشة:ص30).

"فقد كان الفن أسيراً للنصوص المقدسة ، فلم يَعرض للطبيعة إلا بالقدر الذي يصل إنسان بقدرة ربه, ومن هنا جاء الفن مشبعاً بالرمز والتحوير اللذين أضفيا علي المظهر الخارجي للأشياء أن ثمة وراءه قوة غيبية (Kelly Kristin ann : 1986,p.715.).

مثال « كاتدرائية دومودي بيزا Duomo. Pisa » من التحف الفنية للفن الرومانسكي في العصور الوسطي. حيث يوجد بداخلها العديد من الجداريات المرتبطة بمحاكاة الشخصيات الدينية ، أهمها عمل فني من التصوير(شكل- 1) وهي عبارة عن صورة للسيد المسيح مُكلل بالهالة النورانية الحاملة للصليب الذي يعد شعاراً للمسيحية، مشيراً بيده اليمني وكأنه مباركاً للناظر إليه ملقياً بالموعظة, واليد اليسري ممسكاً بالكتاب المقدس, ويتوسط " السيد المسيح" العمل الفني بحجم كبير من الجانبين الأيمن" للقديس يوسف "وعلي الجانب الأيسر" السيدة العذراء مريم ", مما يعكس براعة الفنان في تنفيذ هذا العمل الفني المقدس باستخدام تقنية (الفريسكو) حيث عبر عن قوة الظل والنور من خلال ألوان جيدة، قام بتوظيفها في التعبير عن لون الجسم الآدمي بدقه, والتعبير عن اللون الأصفر و تدريجاته بثنايا القماش والعباءة الملقاة علي كتف" المسيح " واللوحة تحمل الطابع الديني و تدل علي طابع التقديس والسكينة والوقار مع وجود زخارف من فنون بيزنطية .

(شكل- 1) " صورة للسيد المسيح من مذبح كاتدرائية دومو دي بيزا " (1064-1118م), يتقنية الفريسكو, من الفن الرومانسكي، إيطاليا.

وقد استخدم الفنان اللون الذهبي في تحديد الهالة النورانية، وكذلك تظليل الصليب, و قام بترديد اللون في العباءة مستخدماً الفاتح والغامق , حيث ربط الفنان أجزاء العمل الفني من خلال اللون كما ربط بين الشكل والأرضية (الأصفر والذهبي) الموجود في الخلفية وزي "المسيح "،

"كما استخدم " الفنان الخط (الكونتوري) علي عناصر العمل الفني في تحديد عناصر التكوين كما استخدمه في تحديد الأشكال ، وكانت تلك من احدي سمات فن التصوير في فنون العصور الوسطي. أما عن الجلال قد تجسده عمليات المبالغه, ولقد لجأ الفنان إلي تضخيم السيد "المسيح "حيث صوره بحجم يتضاعف عدة مرات عن حجم القديسين وذلك بقصد إبراز صفة العظمة والتقديس والجلال "(محسن عطية:غاية الفن:ص93). ويرى الفيلسوف الفرنسي " إتيان سوريو" بأن هناك أعمالاً تُحقق المتعة الجمالية , لكن هناك أعمال أخري لا تستطيع أن تفعل ذلك ، أى أنه يوجد أعمال فنية تُشبع الحاجة الجمالية في عصر محدد , لكنها تصبح غير قادرة علي فعل ذلك في عصر آخر.

ويتضح ذلك فى الفن (القوطي) في العصور الوسطي. " حيث كانت الكنائس والكاتدرائيات في هذا العصر تشمل كل الفنون، لأنها أُنجزت بطريقة فيها عظة وجمالية وفن (أيقوني) عن قصد, ولكي يتحقق التأثير الروحي في المصليين والزائر، كما أن ضخامة البناء وأناقته ونقاءه وإبداعه المفصح عن دقه متناهية في إنجاز كل التفاصيل .

وقد سيطر هذا الفن ماديا وروحياً، وكانوا رجال الدين يبعثون الشعور بالخشوع والسكينة والصفاء، فكانت تلك الكنائس بكل الفنون التي تشتمل عليها تساعد الزائر أو المصليين علي التسامي الروحي, وتحقق المتعه الجمالية له ، وقد اشتهر الفن القوطي بارتباطه بالقصص المخيفة (محسن عطية:ص91). كما أن الفن القوطي - النوع الثاني من فنون العصور الوسطي الذي تطور في فرنسا في وسط القرن الثاني عشر الميلادي, تاركاً بصمة واضحة علي الكثير من الفنون الإيطالية الكلاسيكية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي , وقد بدأ تطوير نمط بناء زخرفة الفن القوطي العالمي بشكل ممتاز في القرن السادس عشر ميلادي , وكان من أساسيات هذا الفن المخطوطات والرسومات من الزجاج المزخرف بالرصاص

" فقد كان لإيطاليا دور قيادي في فن التصوير منذ أواخر القرن الثالث عشر ميلادي ، بفضل المصورين الذين حرروا فن التصوير من سيطرة التقاليد القديمة, متأثرين بالفن البيزنطي الذي جاء من الشرق من جهة ، و بالقوطي من جهة أخري. حيث أن الفن القوطي - الخالص لم يلقي إقبالاً من الإيطاليين ولكن انتهي الأمر بغزو الطراز القوطي لفن التصوير "(هانى فريد:ص1). وقد " ساهم في هذا التطور عدد من المصورين ومن أهمهم "جيوفاني تشيمباويGiovanni Cimabue " (1240- 1302) الذي اشتهر بلوحات الفسيفساء التي كان يصممها للكنائس ، وكذلك لوحات من ألوان (التمبرا) وتعتبر لوحة " العذراء " علي العرش (شكل - 2) من أهم وأشهر لوحاته

حيث أكسب السيده " العذراء " هيئة الأمومة الطبيعية و" المسيح " يؤشر بإصبعه ليمنح البركة ، ويتسم العمل الفني بالاتزان والتماثل والخلفية المُذهبة والتي تمثل تأثراً بيزنطياً , ويتميز هذا العمل بالتسطيح الواضح بالرغم من وجود فراغ معماري.

فقد كان " تشيمابوي " حلقة الوصل بين التقاليد الفنية البيزنطية وثورة "جيوتو" الفنية , فالصورة تمثل امرأة جالسة يلتف حولها مجموعه من الرجال والملائكة واقفين , والعرش يحتل فراغاً كبيرا ملحوظاً ، والعذراء من فوق العرش في جلسة مرتضاة , والملائكة من حولها ، كما تحمل الصور بعض الأخطاء كبعد الأنماط الممثلة عن المثل الأعلى للجمال ، وضخامة الشخوص التي تبدو مفاصل أطرافها مغمورة مما يفقدها طواعيتها للحركة . إن لكل اتجاه أشكالاً تركيبية تتمتع بخواص فريدة ، ففن العصور الوسطي في الغرب يتميز بالتوزيعات المتناسقة للأشكال المصورة , الذي يعتمد الفنان علي التناسب و التماثلات بين أجزاء التركيب ذي البعد الواحد , وقد خضعت صور " المسيح " والرسل فيها لقواعد محددة و اتسمت بنسب رمزية في الجسم".(ثروت عكاشة:ص46).

(شكل - 2) " جوفاني تشيبمابوي "، « العذراء فوق عرشها تحمل يسوع طفل الجلالة» ,(1280-1285م),متحف أوفتري , فلورنسا.

ومما سبق يتضح ما في العصور الوسطي من روحانية - حتى مع ظهور الواقعية القوطية - ظل الاتجاه الرمزي الذي أتاح للفنانين الرومانسكيين ألا يبالوا بالمحاكاة الحقيقية للطبيعة , والفنانين القوط أن يجدوا مكاناً لهذه الواقعية , فعلي الرغم من أن هذه الروحانية ظلت القاعدة الوطيدة للعقيدة المسيحية فقد اختلفت نظرة الفنانين الرومانسكيين ، وكذا نظرة الفنانين القوط نحو العالم المرئي ووسائلهم في التعبير عن إحداهما عن الأخرى .

وقد "تميز الفن الأوروبي في العصور الوسطي بنزعته الرمزية فظهرت المبالغات في تصوير نسب الأجسام بالخطوط المعقدة التي تتناسب مع مبدأ فناء الجسد وبقاء الروح في لوحات الموضوعات المقدسة وأساس الأعمال للمعايير الجمالية، كما واعتاد الفنانون في ذلك الوقت رسم السماء والأرض في أعمالهم كمسطحات رأسية, وعبروا عن خط الأرض الفاصل رمزياً .(مفيد الزيدي:ص8).

لقد مرت القيم الدينية والقيم الجمالية بمراحل تطور عبر التاريخ، وكانت العلاقة بينهما علاقة ترابط أحياناً وسيطرة وتسلط من القيم الدينية، ومحاولة الإفلات أو الخروج من مسار السيطرة بطرق مختلفة من رجال الفن.

فالفن دائماً كان مرتبطاً بالقيم التي يستمدها من مكانته في الحياة، ومن تفاعله مع العناصر الثقافية مثل الدلالات الرمزية، الأبعاد الروحية، الطابع الجليل والتأثير التذكاري إضافةٍ إلي الجاذبية الجمالية. فقد ارتبط الجمال بالقيم المطلقة العليا عند اليونان،" كما عَني بفكرة القداسة والرمز الديني في العصور الوسطي، وبوجه خاص عند مسيحي عصر النهضة الذي ارتبط الفن في تصورهم بالإبداع والعبقرية المستمدة من الإله، ولهذا ظهرت الأعمال الفنية لفنانين هذا العصر وهي تُجسد صوراً ورموزاً دينية (كالعذراء والطفل، قصة الطوفانوالخلق، وتمثال داوود) وغيرها من الأعمال المقدسة ".كما في شكل(3).

شكل(3) نافذه من الزجاج المعشق بالرصاص، من الفن الرومانسكي، القرن ال12 ،تمثل النبي دانيال والنبي داوود ،عام1132،كاتدرائيه اوغسبورغ،الطول 222 في عرض54م
http//:www.abinger-staind glass.com.uk/staind glass/history.htm

يظهر فيها استخدام الخطوط السميكه في التحديد باللون الاسود مع وجود تناغم من اللون البني بجوار خطوط التحديد السوداء.

(شكل -4) رثاء المسيح للفنان " جيوتو دي بوندون" .فريسكو"تمبرا".(1306)

تتحول القصة المقدسة إلى قصة حية,توقفت الصور عن أن تكون رموزًا قياسية ، وأصبحت انعكاسًا حقيقيًا للواقع

(شكل-5) دوتشو -العذراء والطفل -1300-متحف المتروبوليتان بنيويورك،'إيزيس الشرق/الغرب'

(تكشفت عن مقدرة الفنان على صنع صورة رمزية لشخصية إلهية بروح إنسانية جديدة)

وهذه الأعمال الجدارية الضخمة فيها يقوم الفنان بتقسيم اللوحات تقسيم داخلي لمجموع الأشخاص المعذبين, والجحيم , والفردوس, والملائكة , فكل لوحة تحتوي علي عدد من اللوحات التفصيلية , وهذا التقسيم الشكلي للوحات وصور المعذبين وطبقات الجحيم والملائكة وغيرها.

نتائج البحث :

1. تميل فنون العصور الوسطي إلي التبسيط والإختزال مع التركيز علي التعاليم والإرشادات والتي تقود المؤمنين إلي جوهر الحقيقة الدينية المقدسة.
2. لقد اعتني الفن المسيحي في القرون الوسطي بالجانب الروحي المجرد للعمل الفني, فجاءت الأشكال جامدة خالية من الحياة وقسمت اللوحات إلي بني معمارية وهندسية وزخارف تتوجها صور العذراء والمسيح والقديسين والملائكة في فضاءات روحية محققة مفهوم المقدس من خلال الهالات والإشارات الدينية.
3. دفعت الافكار الدينية والسلطة الدنيوية والكنيسة إلي تحويل المقدس دلاليا من كونه الذات الإلهية إلي السلطة السياسية ذات أصول مقدسة مستمدة من النفس شديدة الخصوصية تبعا لرجال الدين.
4. تجسيد شخصية السيد المسيح والعذراء هو الحفاظ علي الميراث الديني الحامل للتعاليم الإلهية المقدسة من خلال الإيمان والعدالة الإلهية.

التوصيات:

1- التركيز على دراسة الأعمال الفنية المُقدسة، لما لها من أبعاد ومفاهيم جمالية متميزة.

2- الحث على ترجمة الكتب والدراسات من لغات أخرى للإطلاع المستمر على ما هو جديد في الفن.

المراجع

1-حسن طلب: أصل الفلسفة حول نشأة الفلسفة في مصر وتهافت نظرية المعجزة اليونانية , عين للدراسات و البحوث الإنسانية , القاهرة ، ط1، 2003م .

2-حورية الظل: تذوق الأعمال الفنية تربية الروح , مقالة نقدية ، مجلة الاتحاد , سبتمبر2016.

3-ثروت عكاشة: فنون عصر النهضة الرينيسانس, الهيئة العامة للكتاب, القاهرة ، ط1، 1987

4-الفن البيزنطي,موسوعة تاريخ الفن/العين تسمع والأذن تري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , الجزء 11, ط 2، 2013

5-محسن عطيه :غاية الفن, دراسة فلسفية ونقدية , دار المعارف ,القاهرة,1991

6-الفن وعالم الرمز, عالم الكتب ، القاهرة ،2003

7-جذور الفن ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2008.

8 -القيم الجمالية في الفنون التشكيلية , دار الفكر العربي , 2010,

9-نعمت إسماعيل : فنون الغرب في العصور الوسطي والنهضة و الباروك , القاهرة , دار المعارف,2001 .

10 -هاني فريد: تاريخ الفن الغربي من العصور الوسطي حتي العصر الحديث , دار أمواج للنشر,الأردن,ط1،2015،47

ثانياً : الرسائل العلمية :

11 -رنده أحمد قاسم: الأسطورة في التصوير المصري المعاصر ، رسالة ماجستير, كلية الفنون الجميلة , جامعة حلوان,القاهرة,2001.

12-سماح حسين: القيم الجمالية لمختارات من فن تصوير عصر النهضة للأساطير الإغريقية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية الفنية , جامعه حلوان, القاهرة,2003.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

13 -H.w.Janson,History ofaet,fourth edition(London;thames&hdidson ,1991,p;90

14 - Kelly Kristin ann : Motifs in opus sectile and its painted imitation from the tetrarchy to Justinian intarsa,Greece, arble, Columbia university, 1986,p.715.

رابعاً : المواقع الالكترونية :

15 - http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%88%D8%AA htm

16 -فن_مقدس https://ar.wikipedia.org/wiki/

17 -أسطورة https://ar.wikipedia.org › wiki ›